مدح الصحابة الكرام والأولياء والصالحين في شعر البرعيين

(دراسة مقارنة)

فتح الرحمن السيد محمد عثمان

جامعة كردفان

المستخلص

هدفت الدراسة إلى إظهار فضل الصحابة الكرام الذين لم يجدوا حظاً وافراً من مدح شعراء المدح النبوي كالذي وجدوه عند البرعيين، فقد أفاض برعي السودان شعراً جيدا يليق بمقامهم الجليل، وكذلك الصالحين من شيوخه، ومثله برعي اليمن، فحاول الباحث دراسة شعرهما بالتحليل والموازنة في مختلف الجوانب الفنية المتعلقة بالصحابة والصالحين. وتكمن أهمية البحث في تكريم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وضرورة إظهار فضلهم. انتهج الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وتتكون خطة الدراسة من مبحثين. تضمنت الدراسة تعريفاً مختصراً للصحابة الكرام، رضي الله عنهم، ومدح المولي جل جلاله لهم في كتابه الكريم، وثناء رسول الله عليهم. ثم تناولت مدح البرعيين لهم وعدد صفات مدحهم، رضي الله عنهم وركز علي مدحهما للخلفاء الراشدين، ثم تناول في المبحث الثاني: مدح الصالحين من شيوخ التصوف. ثم استنتج الباحث ما يلي: ١- تأثر البرعيان ببعض الشعراء ممن سبقهوهما كأبي الطيب المتنبي. ٢-تأثر برعي السودان ببرعي اليمن وحاكاه. ٣-أكثرا في شعرهما من والاقتباس والتضمين من القرآن والسنة وغيرها. ٤- مصادر معاني شعر البرعيين مستقاة من القرآن والسنة وفكر التصوف والشعر القديم ، استفاد برعي السودان من التراث الشعري الشعبي في السودان . وعليه يوصي الباحث الباحثين بدراسة شعر البرعيين.

Abstract

The study aimed to show the merit of the honorable companions who did not find much luck in praising the poets of the Prophet's praise, such as what they found in Al-Buraeiyin. Al-Burae of Sudan has enriched their venerable position with good poetry worthy of, as well as the righteous of his sheiks, and likewise, Al-Buraeiyin of Yemen, So, the researcher tried to study their poetry by analyzing and balancing in various aspects related to the Companions and the righteous. The importance of the research lies in honoring the companions of the Messenger of God, may God bless him and grant him peace, and the necessity of showing their merit. The researcher adopted the descriptive-analytical approach, and the study plan consists of two sections. The study included a brief definition of the honorable Companions, may God be pleased with them, the praise of the Almighty for them in his Noble Book, and the praise of the Messenger of God for them. Then, the researcher dealt with the praise of Al-Buraeiyin for them and the number of attributes of their praise, may God be pleased with them, and focused on their praise of the Rightly-Guided Caliphs, then dealt in the second topic: praising the righteous from the sheiks of Sufism. Then the researcher concluded the following: 1- Al-Burayan were influenced by some of the poets who preceded them, such as Abu Al-Tayyib Al-Mutanabbi. 2- Al-Burae of Sudan was affected by Al-Burae of Yemen and imitated him. 3- They made more quoting and embedding from the Qur'an, Sunnah, and others in their poetry. 4- The sources of the meanings of Al-Buraeiyin poetry are derived from the Qur'an, Sunnah, Sufism thought, and ancient poetry. Al-Burae of Sudan benefited from the popular poetic

heritage in Sudan. Accordingly, the researcher recommends researchers to study the poetry of Al-Buraeiyin.

المقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم. أحمده الذي بفضله ونعمته تتم الصالحات، وأصلي وأسلم على نبيه الكريم، سيد الأولين والآخرين، وعلى آل بيته وأصحابه وأزواجه الطيبين الطاهرين.

وبعد:

إنَّ الباحث عن تراجم شخصيات لها إسهام مؤثر، وقادرة على جذب الاهتمام نحوها، أمر في غاية الأهمية، والشيخان عبد الرحيم بن أحمد بن علي البرعي اليماني، وعبد الرحيم محمد وقيع الله البرعي السوداني شخصيتان جدير بأن يتعرف المسلمون عليهما، لما في شعرهما من مكانة عظيمة في نفوس الخاصة والعامة من أبناء الأمة الإسلامية، حيث وجدوا في شعرهما منهلاً عذباً يرتشفون منه طاقات روحية مفعمة بمعان إسلامية عظيمة، تملأ نفوسهم بمحبة الله وخشيته، والاستعانة به وبمحبة النبي صلي الله عليه وسلم، فلقد كان البرعيان من أشد شعراء الصوفية هياماً وولوعاً بحب الذات المحمدية على صاحبها أفضل الصلوات وأزكي التسليم، ولولا الروح الإسلامية المرفوفة والمعاني السامية الخالدة التي تفيض وتجيش بها قصائدهما، لما كتبَ لها البقاء والسيرورة في كل عالمنا الإسلامي.

وقد عرفهما الناس من خلال مدائحهما سماعاً، عبر الوسائل الإعلامية، وقد خلط الكثيرون بينهما ولم يميزوا شعرهما، لذلك أحببت أن يعرفهما الناس من خلال شعرهما دراسةً، فأرجو أن أكون قد وُفِّقْتُ للغاية المنشودة في التعريف بالبرعيين.

فهما شاعران جيدا السبك، وعالمان جليلان مصلحان، وقد جدد برعي السودان في قوالب الشعر العامي. لذلك أحببت أن أظهر هذا البحث من خلال تحليل شعرهما ونقده ، فسميت الدراسة " (**مدح الصحابة الكرام والأولياء والصالحين في شعر البرعيين**)

أسباب اختيار الموضوع :

لم يجد الصحابة الكرام حظاً وافراً من مدح الشعراء كالذي وجدوه عند البرعيين، فقد أفاض برعي السودان شعراً جيدا يليق بمقامهم الجليل، وكذلك الصالحين من شيوخه، ومثله برعي اليمن، فحاول الباحث دراسة شعرهما بالتحليل والموازنة في مختلف الجوانب الفنية المتعلقة بالصحابة والصالحين.

منهج البحث :

انتهج البحث المنهج والوصفي ،التحليلي.

خطة البحث:

تتكون خطة البحث من مبحثين تناول الباحث في المبحث الأول: مدح الصحابة الكرام رضي الله عنهم اجمعين وفي المبحث الثاني: تناول مدح الصالحين.

المبحث الأول: مدح الصحابة الكرام رضي الله عنهم اجمعين

لقد مدح الله صحابة نبيه الكريم في كتابه العزيز في أكثر من موضع . وهم أهل لذلك . قال تعالي: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيما)، الفتح: ٢٩. وقال تعالى: (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه، وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم) التوبة: ١٧٠. وقد نهى النبي الكريم عن الخوض في ما لا يليق بهم، فقال صلي الله عليه وسلم (إذا ذُكِرَ أصحابي فامسكوا) لذلك أجمع علماء السنة علي عدالتهم كلهم، صغيرهم وكبيرهم، فلا يجوز الانتقاد عليهم بما صدر عن بعضهم، والذي حكاه القاضي عياض أنه أوجب القطع بأنهم خير الناس بعد النبيين والمرسلين لما اتصفوا به من الهجرة وترك الأهل والأوطان وبذل النفوس والأموال في نصرة الدين، وقتل الآباء والأبناء والمناصحة في الدين وقوة الإيمان واليقين وغير ذلك من المنح الإلهية).

(عياض، ٢٠٠٦م ،ص ٦٣)

فقد وجدت شعراء المديح النبوي لا يفرقون بينهم وبين ورسول الله صلي الله عليه وسلم، فلذلك من الوفاء أن يُذكر فضلُهم إلى جانب فضله صلي الله عليه وسلم، بذلوا له أموالهم ودماءهم، وأوقاتهم وصحبوه وآووه، وجاهدوا معه، وهاجروا لنصرته، وحملوا الراية من بعده، ووطدوا أركان الدين فاستحقوا المدح الثناء؛ فالعاقل لا يفرق بينهم، وألا يخوض فيما شجر بينهم؛ فإن اجتهدوا فأخطأوا، فهم بشر، ولهم أجر الإجتهاد، غير أن الله تعالى قد فضلهم على سائر الناس بحق الصحبة وهي درجة التكريم، فشعراء المديح يلتزمون هذا الادب. قال برعي السودان في قصيدته "صحب الرسول أعلام".

صُحْبَ الرَّسُولْ أَعْلامْ رَاكْبِيْنَ الخُيُــوْل

لَنُصْرَةِ الإسْــــلامْ عَجَبُوْنِيْ الجَمِيْعْ

(وقيع الله،٢٠٠٢، ٣٤)

هذه نظرة مثالية في حق صحابة رسول الله، وبرعي السودان قد تميز عن غيره في إفراده لهم ديواناً كاملاً، مدحهم فيه، فما ترك فضيلة إلا ونسبها إليهم، بل منهم من أفرد له قصيدة كاملة كالخلفاء الأربعة، مدح كل واحد منهم بقصيدة مستقلة أو أكثر من قصيدة كذلك مدح العباس، وبلالاً، وسيدتنا خديجة، كلاً بقصيدة مستقلة-رضي الله عنهم أجمعين-ثم مدح بقيتهم في عدد من القصائد.

أما برعي اليمن فقد أعطاهم حقهم كاملاً، غير أنه ركز في مدحهم على فضيلة الجهاد والاستشهاد. قال برعي اليمن:

يَلْقَى المُسِيْئِيْنَ بالحُسْنَى كَعَادَتِهِ ... ويُوسِعُ المذنبين العفوَ مَقْتَدِرَا

لمَّا غَدَا واعِظَاً صُمُّوا فَخَاطَبَهم ... بالسَّيْفِ بَأْساً فَلَبَّى السَّيْفُ إذْ شُهِرَا

وَشَنَّ غَارَاتِهِ في كُلِّ نَاحِيَةٍ ... وَقَامَ للهِ والإسْلامِ مُنْتَصِرَا

بِفِتَيَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ الأبطحينَ وَمِنْ ... أَبْنَاءِ قِيْلَةَ أَهْلُ الدَّارِ أُسِدُ شَرَى

قوماً أقَاموا حُدُودَ اللهِ وابْتَدَرُوا ... ظِلَّ السُيُوفِ لِيُعْطَوا أَجْرَ مَنْ صَبَرا

واخْلصوا دينهم لله واعْتصموا ... بالله وامْتثلوا للهِ مَا أَمَرَا

باعُوا نَفَائِسَهُمْ منه وأَنْفُسَهُمْ ... بِجَنَّةِ الخُلْدِ بَيْعَاً رَابِحَاً فَشَرَى

ودَمَّرُوا كُلَّ بَاقٍ عَزَّ جَانِبُهُ ... بالسيف حتى اسِتَبَاحُوا البَدْوَ والحَضَرَا

محبةً لِنَبِيٍّ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ ... غَدَا بِهِ الدِّيْنُ في الآفَاقِ مُشْتَهِرَا

(اليماني ،١٩٨٣، ٦٣)

وقال أيضاً:

أَصْحَابِي دَعُوا عَبَرَاتِ جَفْنِي تَجِدُ بَدْراً فَطَيْبَةَ فَالبَقِيْعَا
فإنَّ بِهَا نَبْياً هَاشُمِيَّاً شَكُوراً صَابِراً بَرَّاً خَشُوعَا
وقَوْماً جاهَدُوا في اللهِ حتَّى سَقَوا أَعدَاءَه السُّمَّ النَّقِيْعَا
أُسْودٌ تُفَرَّقُ الهَيْجاء منهم إذا لَبِسُوا دِمَائَهُمُ دِرُوَعا
وإنْ نهضتْ كتيبتُهم لحَيٍّ كَثيرِ الجمعِ فرَّقتْ الجُموعا
بكلِّ فتىً يخوضُ الهوْلَ سَعياً إلى الضربِ المُبَرِّحِ لا جَزُوَعا
فكم حَملتْ عِتَاقُ الخَيْلِ منهم أُسُودٌ تَدْهِشُ الأسدَ الشَّجِيْعا
وكم شجرتْ لهم فوقَ الهوادي رماحٌ تمنعُ الطيرَ الوقُوعا
وبِيْضٌ في سماءِ النَّقْعِ بِيْضٌ ترى لِثِمُوْسِها فيها طُلُوعا
إذا اشتعلَ الظُّبَا لَهَباً ظَنَنَّا مَتُونَ الخطِيَّاتِ لها شُمُوعَا
لقد صنعوا من العزِّ شُعُوباً كَمَا صُرِعُوا في التَّقوى صَرُوعا
رمتْ بهم الصَوَافِنُ كُلَّ ثَغْرٍ كَأَنَّ لها بِهِ مَرْعَىً مَرِيْعَا
فكمْ غمر طَغَى وَبَغَى عليهم فبَاتَ مُجَدَّلَ القَبْرِ ضَجِيْعَا
وذُو نَظَرٍ سَعَى حَتَّى رَآهُمْ فَخَرَّ لِهَوْلِ هَيْبَتِهِمْ صَرِيْعا
إذا سَلُّوا سُيُوفَ الهِنْدِ ظَلَّتْ رؤوسُ المشركينَ لها رُكُوعَا
مَدَحْتُ أولئكَ المَلأَ افْتِخَاراً فَصَارَ بِمَدْحِهِم زَمَنِيْ رَبِيْعَا

(اليماني ،١٩٨٣، ٤٩)

وقال أيضاً في مدح الخلفاء الأربعة والصحابة الكرام في قصيدته التي أولها:

ضحكـــت بروق الأبرقــين تبسما وسمـــت نجـــوم الحق في كبد السما

إلى أن قال:

وعـلـى أبِي بَـكْـرٍ فَـقَـدْ سَـــبَـقَ الـوَرَى فَضْـــلاً وتَصْـــدِيْـقـاً مُـذْ أَسْـــلَـمَـا
عَضَّـــدَ الـرَّسُـــولَ بـنـفْسِـــهِ وبِمَـالِـهِ طُـــوَبَى لِـــذلِـــكِ مَـــا أَبَـــرَّ وَأَرْحَمَـــا
وَعَـلَـى الـفَـتَى عُـمَـرَ الـذي بِجِـهَـادِهِ في الله حـلَّ بِسَـــيْـفِـهِ مَـا اسْـــتَـبْـهَـمَـا
فَـتَـحَ الـفُـتُـوحَ وغَـادَرَتْ فَـتْـحَـاتُـه رســـمَ الضَّـــلالـةِ دَارِسَـــاً مُـتـهَـدِّمـا
وعـلـى شـــهـيـد الـدَّارَ عُـثْـمَـانَ الـذي مِـنْ نُـوْرِهِ اسْـــتَـحْـيَـتْ مَـلائِـكَـةُ السَّـــمَـا
والآلِ والصُـــحْـبِ الكِـرَامِ فـإنَّـهم شُـــهْـبٌ إذا لَـــيْـــلُ الحَـــوَادِثِ أَظْـــلَـــمَـــا
الضَّـــاحِـكُـونَ إذا الـوُجُـوهُ عَـوَابِـسٌ والمُـــقْـــدِمُـــونَ إذا المُـقَـدّمُ أَحْـجَـمَـا
سُـــحْـبُ النَّـدَى شَـــهِـدوا الهِـدَايَـةَ كُـلُّهُمْ يَـلْـقَـى الـعِـدَا أسـداً وأُسُـــودٌ أَرْقَـمَـا
لِـلْـوَحْـشِ رِزْقٌ مِـنْ حَصَـــادِ سُـــيُـوفِـهِـمْ شَـــبَـعَـاً وَرَيَّاً كَـانَ لَحْـمَـاً أَوْ دَمَـا
جَـعَـلُـوا نَـفَـائِسَـــهُـم وأَنْـفُسَـــهُـم حِمَىً لِـلـدِّيْـنِ حَـتَّى كَـانَ دِيْـنَـاً قَـيِّـمَـا

(اليماني ،١٩٨٣، ٨٨)

نجد برعي اليمن يذكر صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في نهاية قصائده، فلا تكاد تخلو قصيدة من مدائحه النبوية من ذكرهم، وتتبع سيرتهم قال في نهاية قصيدته التي يمدح فيها الشيخ علي القاسمي ومطلعها:

أَيَـرْجِـعُ لي قُـرْبُ الحَـبِـيْـبَ المُـعَـاهِـدِ وتَجْـدِيْـدُ عَـهْـدِ الـوَصْـــلِ بَـيْنَ المَـعَـاهِـدِ

قال في ختامها:

وصَـــلَّـى عَـلَـيْـكَ اللهُ مَـا لاحَ بَارِقٌ تُجَـاوِبُـه في الجَـوِّ حَـنَّـةُ رَاعِـدِ
ومـا غَـرَّدَتْ وَرْقَـاءُ في عـذباتِهَـا سُـحَيْرَاً عَلَى غُصْـنٍ مِنْ الأَيْـكِ مَـائِـدِ

صـــلاةً تُـبَـارِي الـرِّيْـحَ مِسْـــكـاً وَعَـنْـبَرَاً وتَـعْـلُـو بُشَـــامَ الـنُّـورِ فَـوْقَ الـفَـرَاقِـدِ

تَخُصُّـــكَ يا فَـــرْدَ الـوُجُـودِ وَتَـنْـثَـنِي عُـمُـومَـاً عـلـى الصَّـــحْـبِ الـكِـرَامِ الـمَـوَالِـدِ

عَـتِـيْـقٍ وفَـارُوْقٍ وعُـثْـمَـانَ والـفَـتَى عَـــلِـــيٍّ وأَتْـــبَـــاعٍ أَمَـــاجِـــدِ

(اليماني ،١٩٨٣، ٨٣)

أما برعي السودان فقد تميز بديوانه في مدح الصحابة الكرام كما تميز الكُمَيْتُ بن زيد الأسدي بديوانه "الهاشميات" في مدح آل البيت، فإني لم أجد شاعراً من شعراء المديح سواء كان فصيحاً، أو عامياً، نظم في صحابة رسول الله صلي الله عليه وسـلم، هذا الكم من المدائح، ومن خلال النماذج التي نمثل بها سـنقف علي الصـفات التي مدح بها البرعي الصحابة الكرام، رضي الله عنهم. والملاحظ أن أكثر صفة ركز عليها برعي السودان في مدحهم هي فضيلة الجهاد والاستشهاد كحال برعي اليمن، كيف لا وقد بذلوا النفس والدم والمال فداءاً لرسول الله وإحقاقاً للحق، وقد أفرد برعي السودان قصيدة كاملة مدح فيها شهداء بدر قال فيها:

وَبِأَهْلِ بَدْرٍ سِيَّمَا الشُّهَدَاءُ مَنْ هَـجَرُوا الدِّيَارَ لِنُصْرَةِ الْمُخْتَارِ

إلى أن قال:

عَنْهُمْ لَقَدْ رَضِيَ الإلهُ وَهُمْ رَضُوْا عَنْهُ فَبُـشْرَاهُمْ بِحُسْنِ قَـــرَارِ

يَكْفِيْ مَقَالُ اللهِ فِيْهِمْ اعْمَلُـــوْا فَلَكُمْ غَـفَـــرْتُ كَبَائِرَ الأَوْزَارِ

نَرْجُوْ بِهِـمْ نَصْـرَاً عَلَىْ أَعْدَائِنَا وَبِجَاهِهِمْ نُحْمَى مِنْ الأَضْرَارِ

(وقيع الله ٢٠٠٢، ٥٠)

قال الإمام الترمذي في الشـمائل المحمدية:(أهل بدر هم المؤمنون الذين خرجوا من المدينة مع النبي صـلى الله عليه وسلم. لاعتراض عير قريش القادمة من الشام.

ثم لما نجت العير تصـــدوا لقتال كفار قريش في وادي بدر. وكانوا ثلاثمائة وأربعة عشـــر رجلاً على عدة قوم طالوت. هؤلاء هم أهل بدر الفائزون بأكبر فضل، وأعظم شرف.)

(الجزائري ١٣٩٨هـ، ٢٣٨)

ومما قاله برعي السودان في جهاد الصحابة الكرام:

للهِ دَرُّ الـقَـائِـمِـيْنَ بِأَمْـرِهِ والحـافـظـيـنَ عُـهُـودَهُـمْ مَـا أَخْـلَـفُـوا
الـتَّـارِكِـيْنَ مُـرَادَهُـمْ لِـمُـرَادِهِ والـعـامـلـيـنَ بـقَـولِـهِ وَبِـهِ اكْـتَـفُـوا
ولَهُـمْ جِـهَـادٌ لَـيْـسَ فِـيْـهِ تَصَـنُّـعٌ بَـلْ لَـيْـسَ فِـيْـهِ تَـرَاجُـعٌ وَتَخَـلُّـفُ
بالـعـادياتِ عـلـى الـعِـدَا غَـارُوا ضُـحَـىً وعـلـى الـركـابِ عَشِـيَّـةً قَـدْ أَوْجَـفُـوا
أَرْوُوا الرَّمَـاحَ مِـنْ الدمِّـا فَتَقَيَّـأَتْ وسُيُـوْفُهُـمْ مِنْهَـا تَعُـلُّ وَتَـرْعَـفُ

(وقيع الله ٢٠٠٢، ٣٠)

مدح الخلفاء الراشدين:

سيدنا أبوبكر

وقد مدح برعي السودان الخلفاء الراشدين فأفرد لكل خليفة منهم قصيدة أوأكثر، إلى جانب ذكرهم في قصائد مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم، نمثل لها بما يلي:قال في مدح سيدنا أبي بكر:

جَزَى اللهُ رَفِيْقَه خَـيْرَ الجَزَا مَنْ كَانَ فِيْ جَوْفِ الدُّجَى أَوَّاهَا
وَبِغَـارِ ثَوْرٍ قَدْ فَدَاهُ بِنَفْسِـهِ ذَاتِ النُّهَى حُبَّاً جُعِلْتُ فِدَاهَا
وَرَأَى ثُقُوْباً فِيْهِ لَيْلاً قَدْ بَدَتْ سُوْدُ الثَّعَابِيْنُ الَّتِيْ يَخْشَاهَا
خَوْفَاً عَـلَيْهِ لِحِكْمَـةٍ عَطْفِيَّةٍ إذْ أَنَّهُ لَـمْ يَخْشَ إلاَّ اللهَ
طُوْبَى لِنَفْسٍ رَافَقَتْ ذَاتَ النَّبِيْ وَطَوَتْ عَلَىْ حُبِّ الرَّسُوْلِ حَشَاهَا

إلى أن قال:

فَغَدَا يُمَزِّقُ ثَوْبَهُ يَخْشُوا بِهِ تِلْكَ الثُّقُوْبَ وَبِالقَمِيْصِ حَشَاهَا
وَبَدَا لَهُ ثُقْبٌ وَلَمْ يَكُ عِنْدَهُ إلاَّ الَّتِيْ فَـيْ حُـبِّهِ أَفْنَاهَا

فَتَلاقَى بِالقَدَمِ الشَّرِيْفَةِ سَدَّهُ طُوْبَى لَهَا بِالفَوْزِ يَا بُشْـرَاهَا

(وقيع الله ٢٠٠٢، ٤٩)

برعي السودان ركز في مدحه لسيدنا أبي بكر، على شرف الهجرة، وأكرم به من شرف انفرد به سيدنا أبو بكر على سائر الصحابة الكرام، وقد خُصَّ أبو بكر بالصحبة، تكريماً له من الله ورسوله على حسن بلائه وإخلاصه لرسول الله، قال تعالى: (ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا)؛ التوبة: ٤٠. لذلك كلما ذكره برعي السودان ذكر الهجرة وذكر فناءه في خدمة رسول الله ε قال في قصيدته "لذ بحمي المدينة":

نَاهِيْكَ قَدْ جَاءَ الرَّسُوْلُ مُهَاجِرَاً بِأَخِيْهِ ثَانِيْ اثْنَيْنِ نَحْوَ رُبَاهَا

(وقيع الله ٢٠٠٢، ٥٧)

وقوله في قصيدة "بَشَكِّرْ" الأبطال":

وَالصَّدِّيْقُ أَبُــو بَكْرٍ رَفِيْقَ الغَــــــــارْ

ثَانِـــيْ اثْنَيْنِ وَارِدْ فَضْلُوا فِـــــيْ الأَخْبَارْ

سيدنا عمر:

الخليفة الثاني سيدنا عمر الذي كنَّاه رسول الله بالفاروق، قال عنه الإمام الشبلنجي قال:(فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم إسلامه الفاروق. وكان إسلامه رضي الله عنه بعد إسلام حمزة بن عبد المطلب بثلاثة أيام سنة ستٍ على القول الراجح.) وقال: (هو أول من دعي بأمير المؤمنين. وأول من كتب التأريخ، وأول من أشـــار لأبي بكر بجمع القرآن، وأول من جمع الناس لصلاة التراويح، وأول من حمل الدرة لتأديب الناس، وأول من وضع الخراج ومَصَّرَ الأمصار وأستقضى القضاة ، وكان يوافقه القرآن وكان مُحَدَّثاً، لا يخشى في الله لومة لائم، وشهد مع رسول الله كل المشاهد، رضـــي الله عنه). **(الشـــبلنجي، ١٨٨١، ٢٩).** وقد اســـتلطف البرعي هذه الكنية فما أن ذَكَرَ سـيدنا عمر إلا وكناه بالفاروق في أكثر مدائحه له فمن ذلك:

قال البرعي في قصيدة " الفاروق ":

الفَارُوقْ ذُوْ العَدَالَةْ السَّادَاتْ هُـــويْ

نِعْــمَ الشَّـــالُوا الحَـــــــمَالَـةْ

إلى أن قال:

الفَارُوقْ رَيِّسْ سَلَفْنَا ألفَيْ فَضْلُوا مَا اخْتَلَفْنَا

ضَرْبُو اللِّيْ الكُفْرِ أَفْنَى خَلَّي الرُؤُوسْ رَاقْدَه رَفْنَهْ

(وقيع الله، ٢٠٠٠، ١٣)

وقال:

والفَارُوْقْ بَيْنَ البَاطَلْ والحَّقْ فَرَّقْ مُقَـــاتِلْ

جَاهَدْ غِيْرْ مُمَاطِلْ أَهْلَ الكَـــفْرِ قَاتِلْ

(وقيع الله، ٢٠٠٠، ١٨)

وقال:

والفَارُوْقْ عُـمَرْ أَقَامْ شَعَـــــايْرَ الـدِّيْنْ

يُوْمْ أَسْلَمْ بَـــــرَزْ شَهَرْ الآذَانْ فِيْ الحِيْنْ

(وقيع الله، ٢٠٠٠، ٣٠)

وقال:

والفَارُوْقْ المَا بِيَخْشَى المَلامْ

(وقيع الله، ٢٠٠٠، ٣٦)

وقال:

والفَارُوْقْ عُـمَرْ أَشْهَرْ لِدِيْنَ اللَّهْ

وقال:

وَالفَارُوْقْ عُـمَرْ رُكْنَ الشِّرِكْ هَدَّمْ

وقال:

وَالفَارُوْقْ عُـمَرْ لِلَّهِ سَامْ عُمْرُو

(وقيع الله، ٢٠٠٠، ٢١)

سيدنا عثمان:

الخليفة الثالث، سـيدنا عثمان، فقد أفرد له البرعي قصـيدتين مدحه فيهما. خلاف بقية المدائح التي ذكره فيها. والقصيدتان بعنوان " سيدي عثمان " و " ذو النورين " ومطلعهما:

الأولى: **اللَّيْلَه بَجِيْب قُولْ سَيِّديْ عُثْمَانْ**

مَـرْحَـــــبَا سَيْديْ التَلا الأَثْمَانْ

(وقيع الله، ٢٠٠٠، ١٥)

والثانية: **ذوالنُّورِيْنْ وَالوَجَاهَهْ والسَّادَاتْ هُوْيْ**

نِعْمَ النَّالْ عِـــزْ وَجَـــــاهَا

(وقيع الله، ٢٠٠٠، ١٧)

وقد ذكر البرعي في القصيدتين من أفضال سيدنا عثمان ما اشتهر به ، فوصفه البرعي بالصفات التالية:

أولاً: بالعدالة فقال:

بالخُلَفاء العُدُولْ صَدِّيْقْ عُمَرْ عُثْمَانْ

ثانياً: بصهره لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:

جِيْبْ القُوْلْ عَلـَىْ صِهْرَ الحَبِيْبْ عُثْمَانْ

(وقيع الله، ٢٠٠٠، ١٩)

ثالثاُ: ذكر كنيته التي كناه بها رسول الله فقال:

ذُوْ النُّوْرِينْ مُلـَقَّبْ خُـــصَّ يَافَهْمَانْ

وقال:

ذُوْ النُّورينْ والوَجَاهَهْ والسَّـــادَاتْ هُوْيْ

(وقيع الله، ٢٠٠٠، ١٧)

أما عن خلقه، وكرمه، وإنفاقه، فما أجمل ما قاله البرعي في سـيدنا عثمان، فقد أوفاه حقه، وأحسـن القول، فقال:

عِنْدْ مَوْلاهُ عَظِيْمْ القَدْرِعَالِيْ الشَّأنْ

لا عَابْ لا شَتَمْ إنْسَانْ قَطْ لا شَانْ

كَمْ جَهَّزْ جُيُوْشْ للهِ يَا دَهْـشَانْ

كَمْ أَطْعَمْ فَقِيْر كَمْ كَمْ سَقَى عَطْشَانْ

نَاطِقْ بِالصَّوَابْ وَالحَقّ وَالمَعْنَى

مِنْ جُوْدُو انْقَسَمْ جُوْدْ الأَمِيْرْ مَعْنَا

فَيْ الجَنَّاتِ مَعَاهُو رَبِّيْ يَجْمَعْنَـــا

(وقيع الله، ٢٠٠٠، ١٧)

وعن تميزه بشدة الحياء مما جعل الملائكة تستحي منه قال البرعي في ذلك:

لَيْ مَيِّتْ قُلُوبْ المُؤْمِنِينْ أَحْيَا

يُقْرِيْهِ السَّـــلامْ مِنْ العَلِيْ الوَحْيَا

مِنْ وَجْهُو المَلائْكَةْ تَأْتِيْ مُسْتَحْيَهْ

فِيْ قُـــوْم النَّبِيْ زَيَّ الرَّسُولْ يَجْيَ

(وقيع الله، ٢٠٠٠، ١٥)

وعن تجهيزه لجيش العسرة قال البرعي:

ذُوْ النُّورينْ خَيْروا وَاجِدْ جَهَّزْ جَيْشَ العُسْرَهْ نَاجِدْ

قَانِتْ قَايِمْ وَسَـــاجِدْ جُنْحَ اللَّيْلِ فِيْ المَسَاجِدْ

إلى جانب إنفاقه رضي الله عنه كان قانتاً قواماً؛ روى أنه يختم القرآن في ليلة واحدة؛ قال برعي السودان:

قَـــــوَّامَ اللَّيَالِيْ وَتَالِيَ الأثْمَـــــــانْ

(وقيع الله، ٢٠٠٠، ١٧)

سيدنا علي:

الخليفة الرابع سيدنا علي كرم الله وجهه فقد مدحه برعي السودان بصفة البسالة والقوة وذلك في قصيدتين الأولى بعنوان " الليث علي " والثانية بعنوان "سيدي علي" تميزت الأولى بتكرار الرقم عشرة وتميزت الثانية بتكرار الاسم "علي" والتكرار عند نقاد الأدب يعد أحيانا من عيوب الشعر إلا أنه يستملح ويعد من محاسن الشعر، إن كان تأكيداً أو مرادفةً أو مبالغة في المدح أو جناساً ومع أن التكرار في القصيدتين كان متواليا في كل بيت إلا أنه كان منسجماً مع الإيقاع ينساب لطيفاً حلواً يحرك النفس طرباً قال في القصيدة الأولى حيث قال:

بتذكر الأحرار بمدح باب مدينة العلم والأسرار

النصر الشريعة الليث علي الكرار

إلى أن قال:

مَولاي بِالمَـلايْكَةْ الجُمْلَــةْ والعَشَرَةْ

والمِيَّةْ المَعَــاهَا أَرْبَعَــة وَعَشَـرَةْ

والسُّــــوْرَةْ التِيْ كَلِمَاتُهَا عَشَــرَةْ

رَكْعَاتَ الفَــرَائِضْ السَّبْعَــةْ وَالعَشَرَةْ

رَمَضَانْ ثُمَّ لِيــلةَ القَدْرِ فِــي العَشَرَةْ

نَدْعُوْكْ بِــيْ لَيَالِــي الحَجَّةِ العَشَرَةْ

بالحَسَنَةْ الَّتــــيْ مَصْحُوْبَةْ بِيْ عَشَرَةْ

بالرُّسِلِ الثَمَانْيَــةْ، السَّبْعَةْ قَـلْ عَشَرَةْ

والمُبَشّـَــــــرِيْنْ بِالجَنَّةِ العَشـرَةْ

أرْعَى أَحِبَّتِي لِــي اليَسكُنُو أُمْ عُـشَرَةْ

يَمْسِكُوا فِي عُــرَى الإسَـلامِ بِالعَشَرَةْ

الكُلْ لَي يَقَوْلْ مَرْحَبْ حَبَابْ عَشـرَةْ

أَدْخِلْنِيْ فِيْ حِمَاك وَأبْقَى عَلَ عَشَـرَةْ

(وقيع الله، ٢٠٠٠، ١٧)

وقال في القصيدة الثانية:

مَـرَقْ فَــارْسَ الشَّــرِقْ وَالغَــرْبْ

عَلَـيْ سَيْــدِيْ المَرْضِيْ عِنْدَ الرَّبْ

كَرِيْمْ نَدْعُـوكْ يَا عَلِـيـمْ يَارَبْ

فَـرِّجْ عَـــيِّ كُلَّ هَـمْ وَكُرَبْ

بِحَقْ نَبْـي كَانَ قَابْ وَأقْرَبْ

وَبِـالأصْحَاب لِيْكَ نَتْقَـــرَّبْ

عَلِيْ يَا عَلِي يَا أَبَا الحَسَنَيْنْ

عَلِيْ الرَّاجَحْ وَزْنُو بِالكَوْنَيْنْ

نَظِيْرْ ضَرْبُوْ مَا رَأَتْ عَيْنِيْنْ

وَمَا سَمِـــــعَتْ مِثْلَهُ الأُذُنَيْنْ

عَلِـيْ البَـــحْرُو فِيْ الكَرَمْ غِيْرْ قَيْفْ

عَلِـيْ البِطْـــعِمْ فِيْ الشِّتَاءْ وَالصِّيْفْ

عَلِـيْ الـــلازْمَ الصِّيَامْ فِيْ الصَّيْفْ

قِـيامَ اللّـــيْالي وَالضَّرِبْ بِالسَّيْفْ

عَلِـيْ الكـــسَّرْ لِلْـبِيَعْ هَـــدَّمْ

عَلِـيْ الأَسَّـــفْ لِلْـيَهُوْدْ نَـــدَّمْ

عـلي الأَهْـــلَكْ لِلْـعُلُوْجْ أَعْدَمْ

إِلَـيْ أَنْ وَصـــلَ الـرِّكَابْ الدَّمْ

عَلِيْ عِنْـد الرَّبْ عَظِـيْمْ أَجْرُو

عَـلِيْ الرَّبَاهُـــــو النَّبِيْ فِيْ حِجْرُو

عَلِيْ أَلفِيْ الحَـــــرِبْ حَارْ زَجْرُو

خَلَّىَ الفِرْسَـــــانْ كَالنَّعَامْ يَجْرُو

(وقيع الله، ٢٠٠٠، ٢٠)

مع أن البرعي قد ذكر الاسم "علي" إحدى وعشرين مرة إلا أنه كان متناغماً طَرِباً يشوق السامع ويشنف الآذان. وقد شمل برعي السودان الصحابة في عدد من القصائد، من ذلك قوله:

الصحابه هم نصروا الصطفى أرضوا ربهم بيهم مرحبا

(وقيع الله، ٢٠٠٠، ٢٩)

فخلاصة القول في مدح البرعيين لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهما ركزا على الجهاد والعبادة والتقوى، فالإنفاق فالخلق الكريم. رضي الله عنهم اجمعين.

المبحث الثاني: مدح الأولياء وشيوخ الصوفية

معنى ولي في اللغة والاصطلاح:

جاء في القرآن الكريم لفظ "وليٌّ" في عدة مواضع قال تعالى:(ألا إنَّ أولياءَ اللهِ لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ، الذينَ آمنواْ وكانوا يتقونَ ، لهمْ البشرى في الحياةِ الدنيا وفي الآخرةِ ، لا تبديل لكلماتِ اللهِ ذلك هو الفوزُ العظيمُ) يونس: ٦٢،٦٣،٦٤. وقال تعالى: (اللهُ وليُّ الذينَ آمنوا يخْرِجُهُمْ من الظلماتِ إلى النورِ)، البقرة: ٢٥٧. وقال تعالى: (أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين)، البقرة: ٢٨٦. وورد في دائرة المعارف الإسلامية : أن كلمة "ولي" تدل على معنى القرب؛ فولي كل شيء هو القريب منه والقرب من الله بالمكانة والجهة محال فولي الله ما كان قريباً منه بالصفة التي وصفها الله ، أي الإيمان والتقوى. وذكر في دائرة المعارف الإسلامية إن العبد إذا كان قريبا من حضرة الله بسبب كثرة طاعاته وكثرة إخلاصه ، وكان الرب قريباً منه برحمته وفضله وإحسانه فهناك حصلت الولاية). (دائرة المعارف الإسلامية ، ١٤٠٠هـ ص٢٨٥.)

ويعرف علي بن محمد الجرجاني المتوفى (٨١٦هـ) الولي بقوله: (الولي: فعيل بمعنى الفاعل ، وهو من توالت طاعته من غير أن يتخللها عصيان ، أو بمعنى المفعول ، فهو من يتوالى عليه إحسان الله وأفضاله ، والولي هو العارف بالله وصفاته بحسب ما يمكن، المواظِب على الطاعات المجتنب للمعاصي المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات) (الجورجاني، ٣٣٧). أما الولاية فهي: (قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه والولاية في الشرع تنفيذ القول على الغير شاء الغير أم أبى) (الجورجاني، ٣٣٧). وقد اصطلح الصوفية على هذا المعنى (وَلِيٌّ) فنسبوه إلى شيوخهم من باب حسن الظن فيما يرونه من استقامة الشيخ وتفانيه في طاعة الله تعالى، يسابق في الخيرات يحمل الكَلَّ عن الضعيف، ويقضي حاجة الناس ويعلم القرآن، ويطعم الطعام، ويصل الرحم، ويآخي بين الناس... إلخ. فاتصف بذلك بصفات موالاة أمر الله وهو القرب والدنو أضف إلى ذلك الاعتقاد السليم. ونجد الذين مدحهم البرعيان جميعهم من شيوخ الصوفية ممن تتلمذوا عندهم أو نهجوا عليهم منهج الطريقة الصوفية أو كان لهم فضل على الشيخين متصلا أو منفصلا وقد والى كل منهم سند الخرقة الصوفية الذي تنقل عبر مشايخهم إلى شيخه المباشر وممده بالإرشاد والتربية. ويمكن لنا حصر ممدوحي

برعي اليمن وعدد القصائد التي مدحهم بها ، أما برعي السودان فلا يمكن حصر ممدوحيه ولا قصائد مدحه في مشائخ الطريقة الصوفية مع أنني سعيت لذلك ولكن كثرة شعره تعجزعن الحصر.

أسماء ممدوحي برعي اليمن:

قصائد برعي اليمن التي مدح فيها شيوخه عددها ثمانية وعشرون قصيدة نمثل لبعضها ، فقد مدح شيخه المباشر وهو الشيخ عمر بن محمد العرابي ، ومدح كلا من الشيخ محمد بن أبو بكر الحكمي ، والشيخ محمد بن حسين البجلي ، وشيوخ بني مكدش ، والشيخ الشريف علي الأهدل ، والشيخ يحيى بن أحمد الأهدل ، والشيخ أحمد بن محمد الأهدل ، والشيخ محمد بن عمر النهاري ، والشيخ أحمد بن عبد الله بن عمارة ، والشيخ عبد الله بن أبي بكر صاحب ترغم ، والشيخ محمد بن إبراهيم الحكمي ، والشيخ احمد بن أبوبكر الرداد ، والشيخ عثمان بن أحمد الأهدل ، والشيخ أحمد بن الأهدل ، والشيخ أحمد بن إسماعيل الزجدي ، والشيخ أحمد بن أبو بكر القرشي ، والشيخ محمد بن علي يغنم ، والشيخ المعلم عبد الله بن عمر ، والشيخ عمر بن محمد العرابي ، هؤلاء هم ممدوحو برعي اليمن.

الصفات التي مدح بها البرعيان شيوخهم:

الصفات التي مدح بها البرعيان شيوخهم فهي صفات الفضيلة وكمال، الخُلق الكريم، وخوارق العادة من كرامات وفتوحات، أضف إلى ذلك معتقد الصوفية من توسل وتبرك وأدب وما إليه، ويمكن لنا أن نمثل لبعض مدائح البرعي اليماني لشيوخه بما يلي:

قال في مدح مشائخ بني مكدش:

سَامَرْتَ لَيْلَكَ بالغويرِ فَطَالا ومَكَثْتَ وحْدَكَ تندبُ الأطْلالا

وعَجِبْتَ مِنْ دَمْعٍ يَصُوبُ وخَلْفُهُ كَبَدٌ تَذُوبُ وزفرةٌ تَتَوالى

وأَمَرْتَ قَلْبكَ أنْ يَقِرَّ فَمَا ارْعَوى وَنَهَيْتَ جَفنَكْ أَنْ يَسِيلَ فَسَالا

وزَعَمْتَ أنَّكَ في الهَوَى مُستنجدٌ صبراً فكانَ الصبرُ مِنْكَ مُحَالا

لله مَنْ تَهْفو نوازعُ قلْبِهِ إنْ بارقٌ بالأبرقينِ تَلالا

تبكيه ساجعةُ الرُّبَا إنْ وتهيجُ داءً في حشاهُ عُضَالا

غَرَّدَتْ

(اليماني، ١٩٨٣، ١٦٦)

وقال أيضا في مدح الشيخ الشريف علي الأهدل:

هبَّ النَّسيمُ فماسَتْ منه أشْجارُ وغرَّدَتْ في بُشَامِ السفحِ أطيارُ
وضَاحَكَ البرقُ أزهارَ الرِّياضِ فَمِنْ فَضَا مذْهَبها نُورٌ وأنوارُ
فَهَزَّنِي الشُّوقُ لا دَمْعي يَكُفُّ ولا قلبي إذا رُمتُ منه الصبرَ صَبَّارُ
وطالَ عهدي بدارٍ كُنتُ ساكِنها قَدْ حالَ مِنْ دُونِها نجد وأغْوارُ
فليْتَ شِعري هَلْ الأيَّامُ تُسعدني بوصلِ قومٍ نَأَتْ بِيْ عنهمُ الدَّارُ
أَحِنُّ وجداً وتذْكَاراً لَهُمْ وَبِهِمْ والحُبُّ أَقْتُلُهُ وَجْدٌ وتِذكارُ

(اليماني، ١٩٨٣، ١٧٦)

وقال أيضا في مدح الشيخ محمد النهاري:

رِفَاقِي الظَّاعِنِيْنَ مَتَى الوُرُوْدُ وذَياكَ العذيبُ وذا زرودُ
فعُوجوا بي على آثارِ ليلى فما يدري الغريبُ متى يعودُ
وزوروا شِعْبَها فعلى فُؤادي وقلبي من نسيمته برودُ
رفاقي الظاعنين ترفَّقوا بي فقلبي في هوى ليلى عنيدُ
أعيدوا لي الحديثَ بذكرِ لَيْلَى أعيدُوه فَدَيتُكُمُ أعِيدُوا

(اليماني، ١٩٨٣، ١٨٥)

وقال في مدح الشيخ أحمد بن عمارة:

أهاب سحيراً بالفراق مهيب فلبَّاه وجداً في الحشا ولهيبُ
وحقَقَ ظَنِّي بالرحيلِ مودعٌ مدامِعُهُ في وجنتيه تَصُوبُ
فما كذبتني رمزةٌ معنوية أشارَ بها ريُّ البنانِ خضيبُ
يردُّ بطرفيه السلامَ وحوله رقيبٌ ومن حولَ الرقيبِ رقيبُ
حَمَتْهُ عن التوديعِ زُرْقُ أَسِنَّةٍ تَكَادُ تُذيب الصخرَ وهو صَليبُ
فمِنْ أينَ يصفو العيشُ بعَد أحبةٍ ركائبهم بين الشعابِ شعوبُ

قال حسب الرسول حسن عبد القادر: (ويبدو من أشعاره أنه كان يمدحهم رغبة في العطاء ليكسب رزقا) (حسب الرسول ،٢٠٠٥، ٧٧). مثل قوله يمدح الشيخ **عبد الله بن أبي بكر صاحب ترغم:**

ما زلتُ أشكرُهُ نَداه وكُلَّما طالتْ يداهُ عليَّ طالَ لِسَانِي
مولايَ جئتُكَ والخطوبُ عوابسٌ والدهرُ يَصْرفُ نَابَه لِهَوانِ
فتولَّني وأقِلْ بجُودِكَ عَثْرَتِي وأقِلْ ثوبَ نَوبِ الحدثانِ
وانظرْ إليَّ بِعَيْنِ لُطْفِكَ نَظْرَةً أَحْيِي بها أَمَلي وأَصْلِحْ شَأْنِي
وأَمُدِّنِي بِنَداكَ وامسَحْ بالغِنَى فَقْرِيْ وأرْغِمْ أنفَ مَنْ يَشْنَانِي
فعساكَ إنْ أكْرَمْتني أَحْيَيْتَني وأَمَتَّ رَبَّ فُلانَةٍ وفُلانِ
واسْلَمْ ودُمْ جَبَلاً نَلُوذُ بِظِلِّهِ وغِيَاثَ قَاصٍ في الأنَامِ وَدَانِيْ

(اليماني، ١٩٨٣، ١٩٢)

وقوله في قصيدة أخرى يمدح بها شيخه أحمد بن محمد الأهدل:

هـلْ مِـنْـكَ لي يا ابْـنَ الأُهَـيْـدِلِ عَـطَـفَـةٌ تُـغْـنِي بهـا فَـقْـرِي وتُصْـلِـحُ شَـأْنِي
وتُـقـيـلـنـي مِـنْ عَـثْـرَتِي وتَـرِيحُـنِي بالجُـودِ مِـنْ هَمِّـي وَمِـنْ أَحْـزَانِي
فـلـقـد قَصَـدتـكَ مـادحـاً لـك لائِـذَاً بـك مسـتـجـيراً مِـنْ عِـنَـادِ زَمَـانِي
فـقِـنِيْ بجـاهِـكَ مِـنْ هُـمـومُ الـفَـقْـرِ دُنـيـا وفي الأُخـرى مِـنْ الـنِّـيْرَانِ

(اليماني، ١٩٨٣، ٢١٤)

وقال يمدح الشيخ أحمد بن أبي بكر:

وكَـمْ رِجَـالٍ كُـثْـيرٍ كُـنـتُ آمـلـهُـمُ ولمْ يَـزَلْ لابـسَ الآمـالِ عُـرْيانَا
لا يـورقُ الـعُـودُ مِـنْ رَعْـدٍ بـلا مـطـرٍ إذاً يـروي سـرابُ الـقـاعِ ظَـمْـآنا
وأنْـتَ مـالي ومـأمـولي ومـعـتـمـدي ومـا زالَ حـوضُـكَ لي بالجـودِ مـلآنا
حَـاشَـا جلالُـكِ بـل حـاشَـا نَوالُـكَ أنْ أكـونَ في بحـركِ الـفـيَّـاضِ عَـطْشَـانَا
دَعْ المَـقَـادِيـرَ تَـطْـويـني وتَـنْشُـرني حـتى تُـبَـلِّـغَـنِي مـعـرُوفَـكَ الآنا
فـمـا نَـزَلْـتُ عـلـى مـولىً سِـوَاكَ ولا أرجـو وراءَكَ بـعـدَ اللهِ إنْسَـانَا
وانـظـرْ بـعـينٍ مِـنْـكَ مُشْـفِـقَـةٍ وانعـشْ بعَـزْمِـكَ أهـلاً لي وجِيْـرَانـا

(اليماني، ١٩٨٣، ٢١٦)

فإن كان البرعي اليماني يشكو فقره وفاقته لشيوخه ويسألهم النوال والعطاء، فهذا ليس عيباً، لأن شيخ الطريقة الصوفية في مقام الوالد، وجاز أن يكون سؤاله هو طلب الدعاء لإصلاح الحال والفقر لا بقصد عين العطاء، ودليل ما قلت هو أنه لم يمدح حاكما واحداً من حكام دولة بني رسول، فإن كان قصده المال والثراء فالمال لدى السلطان أوفر، فبقصيدة واحدة يقضي حاجته.

ومعرفتي ببرعي السودان أنه كان ميسورا وكان يكسب من عمل يده إلى جانب ما يهدى إليه من أحبابه وتلاميذه، حيث كان يملك معصـــرة تعمل في تعبئة الزيوت، ويملك مشـــاريع واســـعة بجنوب كردفان يعمل في إدارتها أحد أبنائه ، ويملك شـاحنات ضـخمة تعينه في عمل المعصـرة والمشـاريع، والواضـح من شـعره في مدحه لشـيوخه، أنه ما سـأل أحداً عطاءاً ولا إعانة لسد رمق أو فاقة، ومعظم توسلاته بشيوخه يقصد بها الإعانة على أمر الآخرة أو الاستشفاء من مرض ولنا أن نمثل لما ذكرنا.

ممدوحي برعي السودان:

فنبدأ بمدحه لشيخه ووالده الشيخ محمد وقيع الله حيث مدحه في شعره العامي وشعره الفصيح ومما قاله في شعره الفصيح:

أكـــرمْ بأُسْـــــتـــاذٍ يحـــقُّ مَـــزَارُهُ أرأيْـــتَ كـــيْـــفَ قَـــمِـــيْصُـــــهُ وإزارُهُ

أَمْ كـيْـفَ هـيـئـتُـهُ ومِشْـــيـتُـهُ عَـلَـى ظـهـرِ الـثَّـرَى هَـوناً ونِـعْـمَ قَـرَارُهُ

كـيْـفَ الـتـواضـــعُ مـنـه كـيْـفَ حَـديثُـهُ كـيْـفَ الجـلـوسُ وحَـوْلَـهُ زُوَّارُهُ

أَرَأَيْـتَ كَـيْـفَ دَقِـيْـقُـهُ وعـجـيـنُـهُ وإِدَامُـهُ أَمْ كَـيْـفَ تُـوقـدُ نَارُهُ

في كُـلِّ بـيـتٍ مـنـه أَعْـظَـمُ نِـعْـمَـةٍ مِـنْ نَهْـلِـهَـا اقْـتَرَفَ الـبَـعِـيْـدُ وَجَـارُهُ

هـو شَـــيْـخٌ نَجْـلُ الـوَقِـيْـعَ مُحَـمَّـدٌ بحـرُ الحـقـيـقـةِ مِـنْ عَـلَـى مِـقْـدَارُهُ

مُـلِـئَـتْ عَـلَـى طُـوْلِ المَـدَى أَوْقَـاتُـهُ بالـذِّكْـرِ يَشْـــهَ لَـيْـلُـهُ وَنَهَـارُهُ

خُـلِـعَـتْ عـلـيْـهِ خَـلائِـعُ الإخـلاصِ في الأعـمـالِ فَـهْـيَ شِـــعَـارُهُ ودِثَارُهُ

طَلَعَـتْ لأصْـحَـابِ السُـلُوكِ شُمُوسُـــهُ وَبَـدَتْ عـلـى أُفُـقِ الهُـدَى أَقْـمَـارُهُ

ظَـهَـرَتْ عـلـى الأَكْـوَانِ آيَـةُ مَجْـدِهِ وَسَمَـا عَـلَـى سَمَـكِ السَّـــمَـاءِ مَـنَـارُهُ

غَـوثُ يَـعُـمُّ الـكـونَ هـاطِـلُ مُـزْنِـهِ بحْـرٌ عَـمِـيْـقٌ لا يُحَـدُّ قَـرَارُهُ

يَسَـــعُ الأَرَامِـلَ والـيَـتَـامَـى بَـيْـتُـهُ وتَضُـــمُّ أَشْـــتَـاتَ الخَـلائِـقِ دَارُهُ

شَـــاعَـتْ وُلايَـتُـهُ وَبَانَ صَـــلاحُـهُ بَـيْنَ الـوَرَى لا يَـنْـبَـغِـي إنْـكَـارُهُ

(عبد الرحيم وقيع الله، ٢٠٠٢، ١٩٤)

وقال : مدح والده أيضاً :

حَيَاتُكَ إِصْلاحٌ بِها الدَّهْرُ مُعْجَبُ مُؤَرَّخَةٌ بالْيُمْنِ والخَيْرِ تُكْتَبُ
يَسُحُّ بِها مُزْنُ الرَّخَاءِ ويَسْتَوي بِسَاحَتِها زَرْعُ المُرُوْءَةِ يَخْصُبُ
فَبَيْتُكَ مَحْجُوجٌ تَوالَتْ وُفُودُهُ وأَعْدَاؤُكَ الحَسَّادِ في الأَرْضِ نَقَّبُوا
أيا ابْنَ وَقِيْعَ اللهِ فَيْضُكَ شَامِلٌ وَسُحْبُكَ في كُلِّ الأَمَاكِنِ صُيَّبُ
فلِلْفَتْحِ والإرْشَادِ أَنْتِ وَسِيْلَةٌ كَذَا لِقَضَا الحَاجَاتِ أَنْتَ مُجَرَّبُ
وبَابُكَ مَفَتُوحٌ وَثَغْرُكَ بَاسِمٌ ومَالُكَ مَبْذُولٌ وَقُولُكَ أَطْيَبُ
وسُوحُكَ مَأْوَى اللاجِئِيْنَ إذا أَتَوا تَكَادُ تَقُولَ الدَّارُ أَهْلاً وَمَرْحَبُ
فَلَمْ تَحْتَجِبْ مَتَى جَاءَ فَوجُهُم ويَحْتَجِبُ المُسْري البَخِيْلُ المُخَيَّبُ
ويرجعُ كُلٌّ مِنْهُمُ وهُوَ شَاكِرٌ وَكَفَّيْه بالإعْجَابِ طَوراً يُقَلِّبُ

(عبد الرحيم وقيع الله، ٢٠٠٢، ١٩٣)

وقال في شعره العامي:

الشَّايِبْ أَمِيْنْ مَا خَانْ كَرَمُو وَجُوْدُو مَا وَسْخَانْ
بَصِيْرتُو الجَّالْيَةْ غِيْرْ دُخَّانْ بِتَفْلُو الجِنْ يَطِيْرْ دُخَّانْ
صَلَحْ بالجَاثْيَةْ والدُّخَانْ لأَهْلِ الخَمْرَه والدُخَّانْ
مَذْكُورْ اسْمُو فِيْ كُلِّ مَكَانْ شَهِيْرْ فِيْ الأَرْبَعَةْ الأَرْكَانْ

(عبد الرحيم وقيع الله، ٢٠٠٢، ٣١٩)

ثم يمدح برعي السودان شيوخ أبيه وإخوان أبيه في الطريق وهي السلسلة والسند المتصل لطريقته السمانية وقدأخذ والده الطريقة السمانية من الشيخ عمر رجل الكريدة نجد برعي السودان يمدحه، ويمدح أبناءه وبلدته ، ومن ذلك قوله :

نِعْمَ الدَّارُمْ زَارَ السّوْحْ وَدَخَلْ دَارُمْ عُمَرْ وَبِرِيْرْ

يَـــا تَـــرْبَالُـمْ أَعْـــنِي زِيَارْةَ الرَّبَالُمْ

كَالقُـبَّالُـم صَلَحَ القُـوْمْ وَيَسُـــرْ بَالُمْ

غَيّرْ حَالُـــــمُ بِدِّرْ وَامْسِكْ مُرْحَـالُمْ

يُعْجِـــبْ حَالُم لِلنَّاسْ يُنْقِذْ أَوْحَالُمْ

(عبد الرحيم حاج أحمد، ٢٠٠٠، ١٣)

ثم يمدح شيوخ أبيه في سلسلتهم وهي ، أخذه عن أبيه للطريقة السمانية وأخّذ أبيه عن الشيخ عمر وأخذ الشيخ عمر عن الشيخ برير وأخذ الشيخ برير عن الشيخ التوم وأخذ الشيخ التوم عن الشيخ أحمد الطيب بن البشير وأخذ الشيخ أحمد الطيب عن الشيخ محمد بن عبد الكريم السمان الذي تنسب إليه الطريقة ثم يتصاعد السند مرورا بالشيخ عبد القادر الجيلاني إلى الشيخ الجنيد) . ونمثل من أشعاره في مدح شيوخه حسب السلسلة . قال في مدح الشيخ عمر شيخ أبيه :

قَلْبِيْ انْعَمَرْ بِزِيَارَةْ أَبُوْنَا الشَّيْخْ عُمَرْ فِيْ كُلِّ عَامْ

إلى أن قال:

سَاعْةَ السَّحَـــــرْ زُوْرَ الكِرِيْدَةْ وَرَا البَحَرْ

القَايْمَ الدُّجَـــــرْ والْفِيْهُوْ أَنْكَرْ قُوْلُوْ جَـرْ

وقال :

الـرَشِيْدْ يَا زَائِـــرِينْ عُمَـــرْ دَلِيْلْ الحَائِرِيْنْ

الطَّـرِيْقْ فِيْهُوْ الأَجُـرْ لِلْبِـخْدُمَ اللالُوْبْ يَجُـرْ

طَال شَوْقِيْ لِلْقَامُوْ الدُّجُرْ يَتْكَابَدُو اللّيْلْ لِلْفَجُرْ

(عبد الرحيم وقيع الله، ٢٠٠٢، ٢٢٢)

وبما أن الشيخ عمر قد أخذ الطريقة عن الشيخ التوم قال البرعي مادحا له:

حَـاوِيْ نَـــــوَادِرْ شَرْعي وِصُوْفِيْ مُرْشِدْ وَنَادِرْ

سَيْـــــدِيْ التُّـــــومْ

شَـيْخَ البِعْـَقُوْبَابْ النَّادِرْ الجَامِـــعْ فُنُونْ وَنَوَادِرْ

وَارْثَ الجِيْلِيْ عَبْدَ القَـادِرْ قَـــوْمَاكْ لِزِيَارْتُوْ نَبَادِرْ

رَيِّـسْ دَايْرَةَ الصُّـــوفِيِّةْ مَرْكَزْ مَشْـــرَبَ الأَلْفِيَّةْ

نَارُو الحَيَّـةْ مَـــا مَطْفِيَّةْ قَبْلَ الـشَّالْ جَابِبْ كُوْفِيَّةْ

(عبد الرحيم وقيع الله، ٢٠٠٢، ٢٢٣)

ثم تابع مدحه تصاعدياً في سلسلة السمانية فمدح الشيخ أحمد الطيب بن البشير فقال:

عَنِ الطَّيِّبِ القَوْثِ المُبَارَكِ نَهْجِيْ وَمَشورَتِيْ فِيْ النَّاسِ أَنْ يَتَطَيَّبُوا

لِيَحْيُوا بِهِ بَعْـــدَ المَمَاتِ وَيَرتَعُوا بِرَوْضَتِهِ ذَاتِ البَـــهَاءِ وَيَجْتَبُوا

إِمَامٌ لَـــهُ بِاللهِ عِـــزٌّ وَمَفْخَرٌ وَتَأْيِيْدٌ وَجَـــاهٌ وَمَنْصـــبُ

إِذَا اتَّصَلَتْ كَفُّ المُرِيْدِ بِكَفِّهِ عَلَىْ بَيْعَةِ الرِّضَوانِ فِيْ الحَالِ يُجْذَبُ

وَيَنْظُـرُ فِيْ أُمِّ الكِتَابِ وَيَهْتَدِيْ بِرُؤْيَتِهِ مَنْ كَانَ لِلْمَـــالِ يَنْهَبُ

ومَـــنْ زَارَهُ لِلَّهِ ثُـــمَّ أَحَـــبَّهُ بِصـــدْقٍ لَهُ تَـــاجُ الوَلايَةِ يُوْهَبُ

يَمُوْتُ عَلَىَ حُسْـــنِ الخِتَامِ مُكَرَّماً سَعِيْدَاً وَذُو الإِنْكَارِ فِيْ الحَالِ يُعْطَبُ

هُوَ الكَنْزُ وِالإِكْسِيْرُ وَالمَهْيَعُ الـذِيْ زِيَارَتُـهُ بَعْـــــدَ المَـدِيْنَةِ تُنْدَبُ

تَبَنَّاهُ خَيْرُ المُرْسَلِـــيْنَ بِحَضْرَةٍ وَقَـــالَ إبْرَاهِيْمُ أَبِيْ لَـهُ أَبُ

وَقَدْ تَفَـلَ المُخْتَارُ فِيْ فِيْهِ تَفْلَةً فَنَالَ بِهَا عِلْماً عَنِ الغَيْرِيُحْجَبُ

(عبد الرحيم وقيع الله، ٢٠٠٢، ١١١)

كذلك مدح الشيخ محمد بن عبد الكريم السمان فقال :

أَجْلِ النُّهى بِمَنَاقِبِ السَّـمَانِ شَيْخِ الطَّرِيْقَةِ مَعْـدَنِ العِرْفَانِ

وَارْتَعْ بِرَوْضَةِ أُنْسِهِ مُسْتَحْضِرَاً مَـا قَالَهُ فِيْ السِّـرِّ وَالإعْلانِ

هُوَ قُطْبُ أَهْلِ اللهِ فِيْ حَضَرَاتِهِمْ وَمُدِيْرُ كَأْسِ شَرَابِ أَهْلِ الحَانِ

كالشَّمْسِ وَالبَدْرِ المُنِيْرِ طَرِيْقُهُ يَهْـدِيْ الوَرَى كالنَّجْمِ لِلْحَيْرَانِ

بَحْـرٌ يَمُوْجُ بِسِرِّ أَسْرَارٍ بِهَا يَرْوِي فُـؤَادَ مُـرِيْدَهُ الظَّمْآنِ

غَيْثٌ عَلَىْ أَرْضِ القُلُوْبِ تَهَطَّلَتْ سُـحْبُ الرَّشَادِ بِوَابِلٍ هَتَّانِ

لِلَّـهِ دَرُّ مُسَـمِّنٍ لِقُلُوْبِ مَنْ سَمُّـوا بِهِ فَدَعَوْه بِالسَّمَّانِ

وَبِنَظْرَةٍ لِلْأَلْفِ يُصْلِحُ يَا لَـهُ مِنْ كَامِلٍ يَسْمُوْ عَلَىْ الدَبْرَانِ

يَكْـفِيْكَ أَنَّ مُرِيْدَهُ حَقَّاً وَلَوْ عَنْدَ المَمَاتِ يَفُوْزُ بِالرِّضْوَانِ

(عبد الرحيم وقيع الله، ٢٠٠٢، ١١٢)

ثم مدح الشيخ عبد القادر الجيلاني فقال :

أَقِمْ وَانْتَظِمْ فِيْ سِلْكِ طَائِفَةِ الجَيْلِيْ عِلَىْ العَهْدِ وَالمِيْثَاقِ وَالوَزْنِ وَالكَيْلِ

وَشَـمِّرْ بِحَزْمٍ ثُمَّ عَزْمٍ بِدَرْبِهِ لِتُحْـظَىْ بِأَنْوَاعِ المَوَاهِبِ وَالنَّيْلِ

بِتَوْبٍ نَصُوْحٍ ثُمَّ إصْلاحِ مَا مَضَىْ كَذَاكَ اعْتِصَامٍ وَالتَّبَرُّؤ مِنْ حَـوْلِ

بِإخْلاصِ أَعْمَالٍ لِتَدْخُلَ حَضْرَةٍ بِهَا المُصْطَفَى وَالعَارِفُ الوَاصِلُ الجَيْلِيْ

هُوَ القُطْبُ وَالغَوْثُ الكَبِيْرُ هُوِ الَّذِيْ أَفاضَ عَلَىْ الأَكْوَانِ كَالبَحْرِ وَالسَّيْلِ

شَـرِيْفٌ وَلِـــــيٌّ كَامِلٌ وِمُحَدِّثٌ فَقِيْهٌ عَلِيْمٌ بِالفَرَائِـــضِ وَالنَّفْلِ

هُوَ الفَارِسُ المِغْوَار فِيْ حَوْمَةِ الوَغَىْ إذَا التَقَتِ الفِرْسَانُ وَالخَيْلُ بِالْخَيْلِ

لَهُ الفَرَسُ المَسْرُوْجُ وَالسَّيْفُ لِلْعِـدَا لَهُ الرُّمْحُ وَالْقَوْسُ المُـوَتَّرُ بِالنَّبْلِ

وَنَظْرَتُهُ قَـــدْ أَصْلَحَتْ أَلْفَ مُدْمِنٍ وَذَلِكَ فُضْـــلُ اللَّهِ وَاللهُ ذُوْ فَضْلِ

يَغِيْثُ لِمَلْـهُوْفٍ يُنَادِيْ كَطَـــرْفَةٍ وَأَسْرَعُ مِنْهَا خُذْهُ فِيْ سُوْرَةِ النَّمْلِ

وَعِنْدَ ظُهُوْرِالحَالِ يَخْطُوْ عَلَىْ الهَوَا وَيُظْهِرُ شَيْئَاً لَيْسَ يُدْرَكُ بِالعَقْلِ

(عبد الرحيم وقيع الله، ٢٠٠٢، ١٠٧)

ثم مدح البرعي مدارس الطريقة السـمانية بمختلف مسـمياتها وعلى رأسـها المدرسـة الطيبية، ثم مدح اليعقوباب والمجاذيب بأم روابة ومدح الأشراف بكركوج والبادراب فقال:

عِندْ سَادَتِيْ البَادْرَابْ وَالطَيِّبِيَّةْ يَا أَحْبَابْ

أَعْرَاكْنَا أَهْلَ البَابْ وَابْوَاتْنَا اليَعْقُوْبَابْ

(عبد الرحيم وقيع الله، ٢٠٠٢، ١٠٨)

ثم مدح جملة الطريقة السمانية فقال :

رِحَابَ الصَّدْرِ عِظَامَ القَدْرِ السَمَّانِيَّةْ

سَمُوْ كَالْبَدْرِ وَحَصَادُمْ بَدْرِيْ السـمَّانِيَّةْ

عِظَامْ القَدْرِ كَلَيْلَةِ القَدْرِ السمَّانِيَّةْ

(عبد الرحيم وقيع الله، ٢٠٠٢، ١١١)

ولم يقصر البرعي مدحه لطريقته، وإنما مدح كل المدارس الصوفية وشيوخها، وأثنى على الجميع ولم يفاضل بينهم، وهذا هو الفهم القومي للطريقة الواحدة، فالبرعي رجل قومي لم يتعصب لأيّ طائفة أو مدرسة صوفية، وهذا هو الفهم القويم، لأن المدارس الصوفية وإن اختلفت في مسمياتها فإن منهجها واحد، واستمدادها واحد، وغايتها واحدة، ولكن هنالك من يتعصب لمدرسته وطريقته، وهذا الفهم هو فهم بعض تلامذة المدارس الصوفية الذي يشوبه شيء من الجهل) (فتح الرحمن، ٢٠٠٨ ،١٧٣).

ومن المدارس التي مدحها الشيخ البرعي ، الطريقة القادرية فمدح الشيخ الكباشي والشيخ الجعلي فقال في الكباشي :

سَوَاقِيْ تَسُوْقْ لِيْهَا أَزِيْزْ جَدَاوْلُو تَكُبْ وَطِيْنُو عَزِيْزْ

الكَبَّاشِيْ

ذَهَبْنَا الخَالِصَ الإبْرِيْزْ مُطَرَّزْ بِالدُّرَرْ تَطْرِيْزْ

بَاللِّيْلْ تَسْمَعْ لِصَدْرُو أَزِيْزْ أَوْصَافُو تَهِزْ قُلُوْبْنَا هَزِيْزْ

لِولادَةْ العَاقِرْ القَاطِعْ مُتْوَاتِرْ لِلشُكُوْكْ قَاطِعْ

إيَّاكْ لِحَدِيْثُو لا تْقَاطِعْ بِشِيْلَكْ سِيْفَهُو القَاطِعْ

(عبد الرحيم وقيع الله، ٢٠٠٠، ١٥)

ومدح فيها الشيخ الجعلي شيخ الطريقة القادرية بكدباس فقال :

قُوْمَاكْ يَا عَلِيْ لِلْقَدْرُو عَلِيْ مُرَبِّيْ القُوْمْ شِيخْنَا الجَعْلِيْ

قُوْلْ فِيْ الجَعْلِيْ بَحْرَ الرِّضْوَانْ نَافِيْ الزَّعَلِيْ

الخُلَفَاءْ الأرْبَعَةْ أَثْنُو عَلِيْ صِدِّيْقْ فَارُوْقْ عُثْمَانْ وَعَلِيْ

إلى أن قال

كَـــــــــمْ بَـلَّ يَبَـاسْ زَادُو القُرْآنْ وَالتَّقْوَى لِبَاسْ

شَيْخْ البُقْعَةْ وَرَاجِلْ كَدَبَاسْ يَا مُرِيْدْ زُوْرُو لا تَخَافْ مِنْ بَاسْ

(وقيع الله، ٢٠٠٠، ١٩)

ومدح الشيخ المكاشفي شيخ الطريقة القادرية المكاشفية فقال :

فُوْقُو الصَّـوْلَةْ عَبْدَ البَاقِيْ القَـــايْدَ الدَّوْلَـةْ كِشِّيْفْنَا

ذَاكْـرَ المَوْلَـــــــــى مُكَـابِدْ طَرْفُو لَيَالِيْ الشَّوْلَه

حَالِيْ اللَّهْجَةْ صَـادَقَ القَوْلَةْ الأحْيَا السُّنَةْ إمَامَ الدَّوْلَهْ

كِـشِّـيْفْـنَا

(عبد الرحيم وقيع الله، ٢٠٠٠، ١١)

ومدح شيوخ الطريقة العركية منهم الشيخ يوسف أبو شرا فقال :

سَوَاقِيْ تَسُوْقْ لِيْهَا رَطِيْنْ جَدَاوْلُو تَكُبْ فِيْ أَحْسَنْ طِيْنْ

الشَّـــــــيْخْ يُوْسُـــــــــفْ

(عبد الرحيم وقيع الله، ٢٠٠٠، ١٤)

إلى أن قال:

إمَامُ الذِّكْرِ وِالتَّحْصِيْنْ مُحَكَّمْ سُـــــوْرُو وَحِصْنُو حَصِيْنْ

فِيْ الحَقِّ قُوْمُو مُتْوَاصِيْنْ لِجَامُـــــو يَأَدِّبَ العَاصِيْنْ

مُدِيْرُ الحَـــــرَكَه وَالتَسْكِيْنْ يَمِيْنُو بِيَرْحَمَ المِسْكِيْنْ

فِيْ الكُـــــوْنِ طَايْلَه لِيْهُو يَدَيْنْ فَكَمْ أَنْقَذْ وَفَشَّ بَدِيْنْ

دَوْمَاً مُسْتَقِيْمْ فِـــــيْ الدِّيْنْ يَعُوْدَ الجَارْ وَيَحِلَّ الدَّيْنْ

أَقْوَامُوْ تَجِيْكَ مُتّطَـــــرْدِيْنْ بِقُـوَّةْ، حَمَاسْ مَا بَارْدِيْنْ

ومدح شيوخ الطريقة التجانية فقال في مدح الشيخ أحمد التجاني :

إِنْ ضَاقَ عَيْشُكَ مَرَّةً بِزَمَانِ فَانْزِلْ بِسُوْحِ العَارِفِ الرَبَّانِيْ

نَجْمِ الهِدَايَةِ لِلْمَكَارِمِ وَالتُّقَى شَمْسِ الحَقَائِقِ أَحْمَدَالتِّجَانِيْ

إلى أن قال :

وَلَقَدْ سَمَا فَوْقَ السَّمَاءِ سَنَاؤُهُ فَأَضَاءَهَا مِنْ مَغْرَبِ البِلْدَانِ

وَالبَدْرُ يَظْـهَـرُ لِلأنَامِ هِلالُهُ مِنْ مَغْـرَبٍ لا مِنْ مَحَلٍّ ثَانِ

قُلْ لِلْذِيْنَ يُفَاخِرُوْنَ بِقَوْمِهِمْ جَهْلاً فَلَيْسَ البَدْرُ كَالدَبِرَانِ

(عبد الرحيم وقيع الله، ٢٠٠٢، ١٢١)

ومدح شيخ الطريقة الإسماعيلية، السيد إسماعيل الولي الكردفاني فقال :

إِنْ نَابَ خَطْبٌ فِيْ البِلادِ نَزِيْلُ قُلْ يَا وَلِيَّ اللهِ إِسْمَاعِيْلُ

قُطْبُ الوِصَالِ الكُرْدُفَانِيّ الذِيْ قَدْ خَصَّهُ مِنْ رَبِّهِ التَبْجِيْلُ

وَلَهُ جَنَانٌ بِالمَـــعَارِفِ مُفْعَمٌ وَعَلَيْهِ عَقْـــلٌ رَاجِحٌ وَثَقِيْلُ

عَيْنَاهُ سَاهِرَتَانِ إِنْ جَنَّ الدُجَى وَمَنَامُهُ نِصْفَ النَّهَارِ قَلِيْلُ

بِجَمَالِ ذِكْرِ اللهِ أَشْرَقَ وُجْهُهُ نُوْرَاً فَمَا الصَّابُونُ وَالمِنْدِيْلُ

أُخْلاقُهُ تَسِعُ الخَلائِقَ رَأْفَةً يَعْفُوْ وَيَصْفَحُ عَنْهُمُ وَيُقِيْلُ

(عبد الرحيم وقيع الله، ٢٠٠٢، ١١٩)

ثم مدح شيخ الطريقة الختمية فقال :

أَكْـــــرِمْ بِآلِ المَرْغَنِيّ وَقَوْمِهِ سَادَاتِ أَعْرَابِ الحِجَازِ وَعُجْمِهِ

فَهُمُ البُدوْرُ وَهُمْ شُمُوْسٌ أَشْرَقَتْ فِيْ كَوْنِهِمْ بَلْ هُمْ ثَوَاقِبُ نَجْمِهِ

آلُ النَّبِيّ مُحَمَّدٍ خَـــيْرِ الوَرَىَ وَرِثُوا بِهِ سِـــرَّ الكِتَابِ وَأُمِّهِ

صَلُّـــوا عَلَيْهِمْ بَعْدَ جَدِّهِمْ الذِيْ صَلَّـــى عَلَيْهِ اللهُ مَعْشَرَ قَوْمِهِ

هُـــمْ نَسْلُ فَاطِمَةَ البَتُوْلِ وَبَعْلِهَا وَخُلاصَةُ السِّبْطَيْنِ طِبُّ الأَكْمَهِ

قَدْ أُكْرِمُـــوا بِطَهَارَةٍ قُـــدُسِيَّةٍ مِنْ كُلِّ رِجْزٍ بُوْعِدُوا مِنْ ذَمّـــهِ

(عبد الرحيم وقيع الله، ٢٠٠٢، ١٦٧)

هذا بقصـد التمثيل فحسـب، ولوفاء الشـيخ البرعي مدح أصـدقاء والده وإخوانه في الطريق، ونظراءه في زمانه. فمدح الشيخ محمد صالح الأشقر فقال :

مُحَمَّـدْ صَالِـــحْ الأشْقَرْ تِلْبِيْ القَرْقَرْ مَاصِـــعْ وَهَدَرْ

إلى أن قال:

صَقَّـــعْ دَنْقَـــــــرْ جَـــابْ الأَخْبَارْ بَاللَّيْلْ عَنْقَرْ

إنْ مَشَىَ غِيْرْ مِيْـــعَادْ فِيْ الحَرْ صَنْقَرْ كَمْ سَبَّلْ عِيْشَاً فِيْ القَنْقَرْ

دِيْنُـــوْ مُبَطَّـــــــرْ عِنْـــد اللهِ عَظِيْمْ أَمْرُو مُسَطـــرّ

(وقيع الله، ٢٠٠٠، ١٤)

وقال في قصيدة أخرى:

رُؤْيَاكْ تُنْعِشْ يَا سَاكْنَ أمْ عِشْ تَحْيَىَ وَفِيْ رُبُوعْ الجَنَّه تَعِشْ

لِـقَبْرُو أَمِـشْ يَا مُـــــــرِيْدْ زُوْرَ المَا مُتْقَمِّشْ

يَلْفَـىَ المَغْلُوْبْ لِدَمْعُو يَمِشْ حَالاً قُبَّالْ العِيْنْ تَرْمِشْ

(وقيع الله، ٢٠٠٠، ١٠)

وقال في قصيدة أخرى :

مَا دَخَرَ النُّقُودْ مَا بِعْرِفْ الخَزْنَاتْ أَشْقَرْنَا اليَقُوْمْ لِلصَّيْحَةْ وَالطَّنّاتْ

زَايْلَهْ قَدَّمْـــــــــــهَا لِلْجَنَّاتْ

زَمَنَكْ كَانْ زَمَانْ أَفْنِيْتُو فِيْ الطَاعَاتْ قَوَّامَ اللَّيَالِيْ وَمُعَدِّدْ السَّاعَاتْ

(وقيع الله، ٢٠٠٠، ١٠)

ثم مدح الشيخ ود الريح "راجل النهد بديار الحمر"

وَدْ الرَّيَحْ يَا نَاسْ قَالْ لَيْ سِيْرْ لِمَوْلاكْ عَدِيْلْ غِيْرْ لَيْ

خَلِّيْ الفَارْغَاتْ وَالعَمَلْ السَّيْ أَوْعَاكَ جُلُوْسْ القَالَنْ سَيْ

إِتْوَكَّلْ وَارْمِيْ قِيادَتَكْ لَيْ وَالبِجِيْكْ مُتْخَتْرِيْ حَمَالْتُوْعَلَيْ

(وقيع الله، ٢٠٠٠، ١٢)

ومدح الشيخ سلامة اللحمر "شيخ قبيلة الشويحات ببنية الشيخ سلامة" فقال:

الزِّيْنِيْنْ الكَرِامَا يَاالسَّادَاتْ هُـــــوْيْ نِعْمَ النَّالُو الكَرَامَهْ

يَا قُـــدُّوْسْ يَا سَلامَهْ أَكْـــتُبْ لِيْنَا السَّـــلامَهْ

نَسْلَـــمْ مِنْ كُلْ مَلامَهْ بِنَهْـــجَ اللحْمَرْ سَلامَهْ

(وقيع الله، ٢٠٠٠، ١٢)

ومدح الشيخ عبد المحمود نور الدائم فقال:

رَجُـــــــلْ طَـابَتْ نُفُوْسْ القَومْ بِهِ طَابَتْ

عَظِيْـــــــــمْ مَحْمُودْ

لَـهُ تَـــــــــدَانَتْ رِجَالاً فِـيْ المُلُكْ كَانَتْ

وِلايْتُو الفِيْ الحِجَازْ بَانَتْ فَـمَا الخُـرْطُوْمْ وَلا بَانَتْ

إلى أن قال:

فَـكـــــــــمْ أَبْـدَىَ عُـلُوَماً تَدْهِشْ العَبْـدَا

طَوِيْلْ دَرْبُو البَعِيْدْ جَبْدَهْ لأَهَـلِ الشَّيَةْ وَالكَبْدَةْ

(وقيع الله، ٢٠٠٠، ١٦)

كذلك مدح الشيخ إدريس ود الأرباب فقال :

الشَّيْخْ إدْرِيْسْ وَدَّ الأَرْبَابِ أَبُو فِرْكَةْ رَئِيْسْ لأوُلِيْ الألْبَابِ

ومدح الشيخ الفاتح قريب الله فقال :

أَعْنِيْ الهُمَامَ الفَاتِحَ الحِبْرَ الذِيْ أَخْبَارُهُ بَيْنَ العَـوَالِمِ تُنْـشَرُ

عَجَبَاً لِقَبْرٍ ضَـــــمَّ أُمَةً وَبِهِ العُلُـوْمُ قَدْ تَوَارَتْ أَبْـحُرُ

لَـمْ تَلْفَهُ إلاَّ خَشُـــوْعَاً ذَاكِراً وَالقَلْبُ بِالفِكْرِ العَظِيْمِ مُعَطَّرُ

أَوْ مُرْشِـــدَاً لِلسَّالِكِيْنَ مُلَقِّنَاً أَوْ نَاصِحَاً وَمُجَاهِدَاً لا يَفْتُرُ

أَوْ جَالِساً مُتَفَقِّـدَاً أَصْـــحَابَهُ يُعْطِيْ وَيُنْفِقُ مَا لَدَيْهِ وَيُؤْثِرُ

(وقيع الله، ٢٠٠٠، ١٨٢)

هذا بقصد التمثيل من شعر البرعيين ولله الحمد من قبل ومن بعد.

الخاتمة والنتائج

في الختام أحمد الله كثيرا لإكمال هذا البحث (**مدح الصحابة الكرام والأولياء والصالحين في شعر البرعيين**) والذي أرجو أن يكون إضافة للمكتبة العربية كما أرجو أن يكون قد صادف الصواب، ومن خلال استقراء شعر البرعيين لاحظ الباحث أن شعرهما يدور في معاني كتاب الله، ولهما طريقة متفردة في إدخال معاني الآيات في شعرهما.

والذي يراه الباحث أنهما استوفا النبي الكريم ما يليق به من وصف وتكريم، وأحسنا في ذلك، وكانا موضوعيين في نظمهما، لا يميلان للخيال في مدحهما لرسول الله، لأنهما ينظمان حقائق وكمالات النبوة.

النتائج:

١. معجم شعر برعي السودان ملئ بالألفاظ العامية المتعمقة في دارجة قبيلة الجوامعة في شمال كردفان .
٢. خاطب الناس على قدر عقولهم في شعره العامي ، وهذه من حكمة الخطاب.
٣. في شعره الفصيح درج على التقليد وكانت لغته عالية كحال لغة برعي اليمن، فهما يخاطبان به المثقفين .
٤. تأثرا ببعض الشعراء ممن سبقهوهما كأبي الطيب المتنبي.
٥. تأثر برعي السودان ببرعي اليمن وحاكاه.
٦. أكثرا في شعرهما من والاقتباس والتضمين من القرآن والسنة وغيرها.
٧. مصادر معاني شعر البرعيين مستقاة من القرآن والسنة وفكر التصوف والشعر القديم ، استفاد برعي السودان من التراث الشعري الشعبي في السودان .
٨. كل قصائدهما تقبل اللحن، وبرعي السودان صب شعره العامي في قوالب اللحن مجارياً للأغنيات الشعبية في السودان .
٩. عاطفتهما جياشة وصادقة ويغلب عليهما طابع الحنين والشوق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .
١٠. أكثر قصائدهما على بحر الكامل ونظما كل قصائدهما على البحور الطويلة، الطويل، والبسيط، و المديد، والوافر، والكامل والرمل، والرجز .
١١. تميزا في بنائهما للقصيدة بحسن الاستهلال والتخلص وإدراج اسمهما أو لقبهما حفاظاً على المدحة من الإنتحال.

١٢. تميزا بمعجم شعري متفرد فهما يستخدمان ألفاظاً بعينها في شعر المديح النبوي تليق بالجناب المحمدي، ويستخدمان ألفاظاً أخرى في شعر القوم .

١٣. برزت في شعرهما تيارات أدبية متعددة منها الرمزية والرومانتيكية والواقعية.

١٤. انتهجا أساليب مميزة في تربية النفس وتربية الآخرين من خلال الشعر.

ختاماً أرجو أن أكون قد وفقت وبالله الموفق.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. الشفاء في التعريف بحقوق المصطفي–القاضي عياض.المكتبة التوفيقية، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه ،أحمد فريد المزيدي، ط ١٣٨٥هـ ج ٢ .

٣. ديوان البرعي اليماني المكتبة الثقافية بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.

٤. ديوان الصحابة– الشيخ عبد الرحيم محمد وقيع الله، مطابع العملة ، الأسباط للنشر والتوزيع ، تحقيق عبد الرحيم حاج أحمد، ط١، ٢٠٠٠م.

٥. الشمائل المحمدية — هذا الحبيب، للجزائري. دار الشرف للنشر والتوزيع والطباعة ، جدة ط١، ١٩٩٧م.

٦. رياض الجنة ونور الدجنة، عبد الرحيم محمد وقيع الله البرعي، دار الفكر بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.

٧. الرحيق المختوم، المباركفوري، المكتبة الثقافية، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

٨. نور الأبصار في مناقب آل البيت الأطهار، الشبلنجي، دار الفجر بيروت ، ط١ ١٩٨٧م.

٩. دائرة المعارف الإسلامية. ط٢ ١٣٩٥هـ.

١٠. التعريفات، الجورجاني المكتبة الثقافية بيروت، ط١، ١٧٧٣م.

١١. الصور البلاغية عند الشيخ البرعي اليماني ، دكتور حسب الرسول حسن عبد القادر . رسالة دكتوراه ، جامعة الخرطوم، ٢٠٠٦م.

١٢. سلسلة المدد، برير حاج علي، رقم ٦، الطابعون لا يوجد، ٢٠٠٠م.

١٣. الشاعر عبد الرحيم محمد وقيع الله، فتح الرحمن السيد، ماجستير، جامعة الخرطوم ،٢٠٠٤م.

١٤. ديوان القوم، عبد الرحيم البرعي، جمع وتحقيق، برير حاج أحمد، الأســـباط للإنتاج الفني والإعلان، الطابعون لا يوجد، ٢٠٠٠م.